الحمدُ للهِ الحَيِ الدائِمِ الذي لا يموتُ ، أحمدُهُ سُبْحانه وأشكرُه على جزيلِ نعمائه وسابِغِ عطائه،وأشهد أن لا إله إلا الله الواحدُ الأحدُ الفردُ الصمدُ لم يلدْ ولم يُولدْ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسوُلُهُ خيرُ الورى وأفضلُ الأنامِ صلى الله عليه وعل آله وصحبهِ الكرامِ وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين

**أما بعد** فأُوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل فهي وصيةُ العمرِ وأفضلُ الأمرِ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ([[1]](#footnote-2)) .

**أيها المسلمون:** إن كلُ حيٍ يموتُ ويبقى الحيُ الذي لا يموت ( كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلل والإكرام)([[2]](#footnote-3))، وهذه هي الحياة لكل بداية نهاية وكل شيء ينتهي مهما طال ، ونهاية ابن آدم الموت؛ لذا بكى النخعي عند احتضاره وقال: انتظر ملك الموت لا أدري يبشرني بالجنة أو النار ([[3]](#footnote-4)) ، وجزع الحسن بن علي رضي الله عنهما عند موته وقال: إني أريد أن أشرف على ما لم أشرف عليه قط ([[4]](#footnote-5)) . وبكى الحسن البصري عند موته وقال: نفيسة ضعيفة وأمر مهول عظيم وإنا لله وإنا إليه راجعون([[5]](#footnote-6)) .

**أيها المؤمنون:** إن العبادة ليس لها وقتٌ تنتهي به إلا الموتَ

قال الله تعالى: (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قال القرطبي: اليقين الموت. ([[6]](#footnote-7)) . قال ابن رجب: عملُ المُؤمنِ لا ينقضي حتى يأتيَهَ أجله قال الحسن: إن الله لم يجعلْ لعملِ المؤمنِ أجلاً دون الموتِ ثم قرأ: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر:99]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم" أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك " ([[7]](#footnote-8)) . انتهى رمضان وانتهى الحج ،وإن العبادة ومواسمها لا تنتهي إلا بالموت ،فلند في العمل ونستمر بعد الوقوف بعرفات والتضرع بين يدي رب البريات ، وسكب العبرات والإعتراف بالخطيئات، والرب أجار العثرات ، وقبل الحسنات وكّفر السيئات؛لأن الحجاج والمسلمين أقبلوا على رب كريم لطيف خبير غفور ودود ، فما أمرهم بدعائه إلا ليستجيب لهم وما يسر لهم إلا ليقبلهم فأبشروا وأملوا واستمروا في الطاعة ، وإياكم والنكوص بعد التوبة والأوبة فما أقبح الذنب بعدها ،فعن ثابت بن الحجاج , قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: «زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر، وذلك يوم القيامة، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية»([[8]](#footnote-9)). قال ابن رجب: ما مضى من العمر وإن طالت أوقاته فقد ذهب لذاته وبقيت تبعاته وكأنه لم يكن إذا جاء الموت وميقاته قال الله عز وجل: {أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ\*ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ، مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ} [الشعراء: 205, 207] تلا بعض السلف هذه الآية وبكى وقال: إذا جاء الموت لم يغن عن المرء ما كان فيه من اللذة والنعيم ([[9]](#footnote-10))

**أيها الموحدون:**قال ابن رجب : جاء في بعض الكتب السالفة: إن لله مناديا ينادي كل يوم: أبناء الخمسين زرع دنا حصاده أبناء الستين هلموا إلى الحساب أبناء السبعين ماذا قدمتم وماذا أخرتم أبناء الثمانين لا عذر لكم ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وتجالسوا بينهم فتذاكروا ما عملوا ألا أتتكم الساعة فخذوا حذركم ([[10]](#footnote-11)) .وقال مسروق: إذا أتتك الأربعون فخذ حذرك وكان كثير من السلف إذا بلغ الأربعين تفرغ للعبادة وقال عمر بن عبد العزيز: تمت حجة الله على ابن الأربعين فمات لها . يا أبناء العشرين كم مات من أقرانكم وتخلفتم يا أبناء الثلاثين أصبتم بالشباب على قرب من العهد فما تأسفتم يا أبناء الأربعين ذهب الصبا وأنتم على اللهو قد عكفتم يا أبناء الخمسين تنصفتم المائة وما أنصفتم يا أبناء الستين أنتم على معترك المنايا قد أشرفتم أتلهون وتلعبون لقد أسرفتم.

قال الفضيل لرجل: كم أتى عليك؟ قال: ستون سنة قال له: أنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تصل ([[11]](#footnote-12)) .

**يا من يفرح** بكثرة مرور السنين عليه إنما تفرح بنقص عمرك قال أبو الدرداء والحسن رضي الله عنهما: إنما أنت أيام كلما مضى منك يوم مضى بعضك.

إنا لنفرح بالأيام نقطعها ... وكل يوم مضى يدني من الأجل

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدا ... فإنما الربح والخسران في العمل. قال بعض الحكماء: كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره وشهره يهدم سنته وسنته تهدم عمره؟ كيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله وحياته إلى موته؟.

قال الحسن: الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم وهي مراحل.

يا من كلما طال عمره زاد ذنبه يا من كلما ابيض شعره بمرور الأيام اسود بالآثام قلبه.

**يا من تمر عليه** سنة بعد سنة وهو مستثقل في نوم الغفلة والسنة يا من يأتي عليه عام بعد عام وقد غرق في بحر الخطايا فعام يا من يشاهد الآيات والعبر كلما توالت عليه الأعوام والهور ويسمع الآيات والسور ولا ينتفع بما يسمع ولا بما يرى من عظائم الأمور ما الحيلة فيمن سبق عليه الشقاء في الكتاب المسطور: {فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: 46]ـ {وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} [النور: 40] ([[12]](#footnote-13)) .

**وكتبه/ د. سعد بن عبدالله السبر**

**الجمعة 16/12/1435**

1. () سورة آل عمران،آية:102. [↑](#footnote-ref-2)
2. () سورة الرحمن ، آية:26. [↑](#footnote-ref-3)
3. ()لطائف المعارف لابن رجب (ص: 223) [↑](#footnote-ref-4)
4. ()لطائف المعارف لابن رجب (ص: 298) [↑](#footnote-ref-5)
5. ()لطائف المعارف لابن رجب (ص: 298) [↑](#footnote-ref-6)
6. ()تفسير القرطبي (10 / 64) [↑](#footnote-ref-7)
7. ()سنن الترمذي ت شاكر (5 / 553) : باب الأمل والأجلسنن ابن ماجه 4236 (2 / 1415) تفسير سورة الملائكة بسم الله الرحمن الرحيم 3598 المستدرك على الصحيحين للحاكم (2 / 463) هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه [حكم الألباني] حسن صحيح سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (2 / 385) [↑](#footnote-ref-8)
8. ()تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص: 561) [↑](#footnote-ref-9)
9. ()لطائف المعارف لابن رجب (ص: 302) [↑](#footnote-ref-10)
10. ()لطائف المعارف لابن رجب (ص: 303) [↑](#footnote-ref-11)
11. ()لطائف المعارف لابن رجب (ص: 303) [↑](#footnote-ref-12)
12. ()لطائف المعارف لابن رجب (ص: 303) [↑](#footnote-ref-13)